"تسليم الأمانة"... ومن دون تشفير

في يونيو / حزيران 1985، كان ينبغي أن "أتبخَّر"...

مقذوف 155 ملم، ينفجر على بعد سنتيميترات قليلة مني... كان قادراً على تفتيتي، وبما "تذيبني" حرارته، ناهيك عن شظاياه وقوة العصف فيه. ولكن القادر أثبت لي في تلك اللحظة حقيقته، قاضياً بأن **"ليس بعد"!**

أرسل الله لي "مُخلَصين" من شرفاء الجيل الأول للمقاومة (وفي "زمن" سيد الشهداء السيد عباس الموسوي)، وليتولّى رفيقي جعفر ("الصادق") قضاء نقلي عبر "العوائق" إلى مستشفى الجامعة الأمريكية في بيروت... وكما يُبَيِّنُهُ التقرير الطبي المُرفَق مع هذه الرسالة، لقد تمزّقت عيناي، و"طارت" أذني اليمنى من جذورها، مع حروق من الدرجة الثالثة لكامل الوجه والكتف الأيمن واليدين (3rd Degree Burns 40% TBSA)؛ لمن يريد سؤال الدكتور فوزي أبو جمرة والدكتور ديمتري عازار، كيف يمكن لآثار هذه الحروق أن تزول**!؟** وكيف (علمياً) للأذن اليمنى أن تنمُوَ مُجَدَّداً، وأن يعود البصر لعينين متلفتين "كلّياً" وكأن شيئاً لم يكن**!!؟؟**

وكما قلتها وفي مناسبات عديدة، كنتُ "مُسْلِماً بالوراثة"... ولكن ما جرى يوم تلك الحادثة (وفيما تلاها) جعلني "مؤمناً من نوع آخر"، مُسَلِّماً لقَدَرِه، وفي طريق ما **"أُبقيتُ لأجله"**، لا تُقلِقُني واقعة ولا يُخيفني أحد؛ ما رأيته ومما فيه مُخالفةٌ لـ "المعقول" والمنطق، و"كَسْرٌ" لكل القواعد العلمية والطبيعية، كان كافياً ليُقنِعَني ويُؤَكِّد لي أنني "باقٍ" لن يُقبَلَ طلَبُ "تقاعُدي" **حتى أُسلِّمَ الأمانة** شاهداً على وبما تأَنَّيتُ في جمعه وتحليله؛ وكما وعدت في 'رسالة إلى أهل السنة والجماعة' بأن 'قريباً سأعتذر ولكتابة خلاصةِ تجربةٍ كاملةٍ متكاملةٍ'، ما سأبدأُ مكاشفتي به هنا وبأبسط التعابير (وبالعامية كلما أمكن)، سيتركز على تجربتي الأخيرة في لبنان، واضعاً النقاط على الحروف، موَضِّحاً ما كنت أرسله عن مبادرة تحصين الساحة الجامعة وترتيب البيت، مُبَيّناً ومُميّزاً (وبالدلائل والإثباتات والشواهد) بين الطالح والصالح "من الموجود"... **لمن يريد متابعة الطريق.**

"كما تكونوا يُوَلّى عليكم"

“The government you elect is the government you deserve”

“Toute nation a le gouvernement qu'elle mérite”

لقد ’استعجلت‘ وقبل نهاية الشهر الأول لجمع ونشر ما كتبته من مراسلات الربع الثاني من السنة 2021، مُتعَمِّداً التوقُّف عند رسالة ’إلى أهل السنة والجماعة في لبنان وفي جميع أنحاء عالمنا العربي والإسلامي‘[1]، ولما كنت أشعر به من صعوبة تغيير ما وصلت إليه عند نشر تلك الرسالة من ’خلاصة تجربة 15 سنة‘ مع مَن كنت أُصِرُّ على "انتمائي لأصلهم" من الأهل عامةً ومن داخل ’البيت السنّي‘ على وجه التحديد.

وعلى أثر نشر رسالة ’إلى أهل السنة والجماعة‘ بتاريخ 25 نيسان 2021، ما وصلني من الرسائل والكلام، وعتب البعض ممن وعدتهم بالبقاء إلى جانبهم من خيرة حكماء البيت، ألزمني بأن أجرِّب مرةً أخرى وأخيرة، وفي ما كانت انطلاقته في لقاء 8 أيار 2021 في طرابلس ومن أجل التعاون في ’ترتيب البيت السني‘؛ عناوين خلاصة هذه "التجربة الأخيرة" (وقبل الحديث عن "الهدف الرئيسي" من ورائها) أختصرها بما يلي:

وكما خلصْتُ إليه في رسالة 25 نيسان 2021 وعَنْوَنْتُ به رسالة ’شدّو الأحزمة‘، أعودُ ولأُؤَكِّدَ "جازِماً": ’الساحة لا يمكن تحصينها و**بيتُنا لا يُرادُ لنا ترتيبُه**؛ وفي ظل القائم لن يستطيعَ تغيير أمرٍ قد قُضِيَ أحد‘. مشكلة الطائفة السنيّة وفي لبنان خاصّةً ليست في فساد وفجور "زعمائها"، إنما في "خِفَّةِ" و"رُخصِ" عامَّتِها؛ ***"بِيروح العاشق، وبْيِجي المشتاق"*** ... ومن دون عناء وتكلفة تغيير الأسلوب[2] الذي "جمَعَهُم" مَن سبَقَهُ به؛ **إن لم يجتمِع الصالح[3]، "الآن"، وليُقَدِّموا بتكامل حكمتهم وأخلاقياتهم البديل القادر[4] على تغيير هذا الواقع؛ وإن لم يكن ما جرى لأهل البيت كافياً ليُقيمَهُم من موتتهم، فعلى أهل السنة والجماعة في لبنان السلام.**

[1] راجع ملف ’مراسلات الربع الثاني من السنة 2021‘ / الصفحات 10-12، من على الرابط www.mazenhajjar.net/category/dailypost.
[2] أسلوب "جمع الماشية إلى المعلف"، والتعبير هذا ليس لي؛ قاعدة فرضتها "النفسيات المريضة" لعامة أهل البيت، وواقع لا يبدو من السهل تغييره.
[3] والمقصود هنا هو كل من يستطيع إعطاء المصلحة العامة ما يعطيه لمصلحته من الحكماء، وممن لا يساهم تاريخه في "تركيب" الافتراءات عليه.
[4] ولأؤكد مجدَّداً أنَّ مَن يستطيع تغيير ما ببيته وساحته "اليوم" سيكون قادراً على إلزام مَن يتفَوَّق عليه بما يُضيفُه إلى قواعد اللعبة من "جديدِ حالته".

خلفية وأهداف ونتائج مبادرة 'ترتيب البيت الداخلي'

'ترتيب البيت الداخلي' عنوان مبادرة بدأتُ بـ "التسويق" لها منذ ما قبل ما سُمِّيَ بـ 'ثورات الربيع العربي'، درءاً لما كنتُ أخشاهُ من "استباقٍ" "السيّء من أصحاب القرار الغربي" لما كنا نعملُ عليه من "بدائلَ آمنة"، واستعداداً لما كنت أراه من "فاشيّاتٍ جديدةٍ" تستلزم جمع و"حزم القضبان" في مواجهة "العواصف" القادمة[5].

وبأسلوب مباشر لمن سئم المُشفَّر من سابق رسائلي:

خلفية مبادرة الرئيس ماكرون الأخيرة مع الأمير محمد بن سلمان والرئيس ميقاتي، على أهميتها وخطورتها، نتكلم في تفاصيلها لاحقا، وعندما ننتقل من الملف المحلي إلى ما يجري على المستوى الدولي والإقليمي.

وفيما يتعلَّق بمبادرة أو انطلاقة ترتيب البيت السني:

لقد وجدت بعد مغادرتي لبنان في 25 سبتمبر / أيلول 2021، ومن بعد تفحّصي للمعطيات الضرورية، أن ما ذكرته في رسالة 26 أبريل / نيسان 2021[6] كان دقيقاً و"كأنني كنت أرى الأمور كلها أمام عيني"؛ وبالرغم من سلبية مَن "طَلَبَ"[7] من 'جماعة 8 آذار' في الشمال عدم المشاركة في لقاء الثامن من أيار، إلّا أن صاحب المكر ومن لم يستطع النوم حتى تعطيل المبادرة هم من أهل البيت وباسم من يحتكر زعامته.

مَن يتحمَّلَ مسؤولية تعطيل عملية ترتيب البيت السني *هو سعد الحريري*... أو مَن يُهيمن عليه وعلى قراره؟ بوعيه وإرادته (وكما يؤكده العشرات من أقرب الناس إليه)... أو نتيجة "بساطته"؟ *مش مهم. النتيجة واحدة*. من كان يُرسِلُ "زعرانه" للاعتداء على مصطفى علوش تارةً، ولـ "استفزازه" من أجل الإيقاع به تارة أخرى، هم من "الحاشية"، ومن "حراس المغارة" التي يُمنَعُ من دخولها أي "عاقل" من تيار المستقبل أو أي شريف.

[5] راجع 'ملحق اللقاءات المناطقية، فبراير 2019' / الصفحة 4، من على الرابط www.mazenhajjar.net/category/dailypost/page/3، و'مراسلات الربع الثالث من السنة 2019' / الصفحات 2، 8، و9، من على الرابط التالي www.mazenhajjar.net/category/dailypost.

[6] المقطعين الأول والثاني من رسالة 'دعوة خاصة للقاء حواري تحت عنوان: البيت السني إلى أين؟' (الصفحة 2 من الملف المرفق مع هذه الرسالة).

[7] ولعلّي أتفهَّمُ وأُبرّرُ "اقتداءَهُ" بمن يدَّعي "مُمانعته" من استكبارٍ مُهَيمنٍ بفعلِ خَلْقِهِ وحرصِهِ على إدامة أسباب تخويف أهله من "الخطر الخارجي".

لمن يريد معرفة إلى أين يُقادُ سُنّة لبنان، وبالتفصيل:

الدعوة الخاصة للّقاء الحواري تحت عنون 'البيت السني، إلى أين؟' جاءت بعد يوم واحد من نشري لرسالة 'رسالة إلى أهل السنة والجماعة في لبنان وفي جميع أنحاء عالمنا العربي والإسلامي' في 2021/04/25. كان هدفي شرح وتوضيح خلفية وتفاصيل الرسالة في هذا اللقاء ولمن طالبني بعدم 'اليأس' و'الانسحاب'، وكان هم البعض من الحاضرين "توريطي" للنفخ مجدّداً في "قربة" كنت أعلم بأنه لم يعد ينفع معها الترقيع.

مرفق مع هذه الرسالة نسخة عن ملف 'التجربة الأخيرة لترتيب البيت السني' لمن يريد التدقيق في مراحلها؛ في ما يلي خلاصة خطواتها، ولأُجيب من بعد ذلك على أي سؤال إن كان يتطلب الأمر المزيد من التفاصيل.

فكرة 'الوثيقة التوافقية' (أو 'إعلان المبادئ') تقدَّمَ بها مستشار الرئيس ميقاتي الأستاذ عبدالرزاق القرحاني. ولقد وافقت على أولويتها بعد إجماع الحاضرين على أن ننطلق بعملنا منها، مقدما لما يمكن أن تُبنى عليه، مؤكِّداً على التزام (و"أسباب التزام") كل من يتكلم ويتحرَّك باسم الطائفة بها و'بدءاً بالرئيس المُكلَّف حالياً'؛ تشديدي (في الصفحة 4) على إلّا يُسمَح بفَرضِ أي بديل عنه 'وبما يتنافى مع "**مصلحة بقاء**" أهل البيت'، كان من باب معرفتي بالظروف "القاهرة للرئيس الحريري"، وبما كان يُعمَل على دفع الرئيس ميقاتي به وإليه.

لقد تواصلت شخصياً مع معظم قيادات الطائفة السنية في لبنان (ومن كل من 'جماعة 8 و14 آذار')، ومَن لم أتواصل معه (قبل تجميدي لحراكي في هذه المبادرة) فلأنني لم أكن قد وصلت إلى منطقته بعد. وبالرغم من تردُّد البعض (أمثال النائب سعد والدكتور البزري)، وتفهمي لخوف البعض الآخر من "جنسيتي" (مثل النائب الصمد)، إلّا أن غالبية "الفاعل" من مكونات البيت كانت "تتحرَّق" لرؤية نجاح ما كنا نقوم به.

انسحابي من المبادرة كان من بعد "يأسي" من أن يكون لأي من الرئيسين الحريري وميقاتي "هامشاً لحركته"، ومن بعد فشلي في تحرير أي منهما من "قبضة المزروع" ممن بدا لي واضحاً حجم وهول ضعفهما أمامه؛ اليوم وكما كان بالأمس، سهام "الرويبضة من الحاشية" على الدكتور مصطفى سببها "مراجعته لحساباته"؛ سببها أصله وتاريخه، حكمته وجرأته، و'نظافة "يده" وجيبه من "الحرام" وبشهادة كل من محبيه ومبغضيه'[8].

[8] من المهم جداً الاطلاع على الصفحات 6 – 8 من الملف المرفق مع هذه الرسالة، إن لم يكن لديك الوقت الكافي لقراءة رسائله المترابطة كاملةً. وما قصدته بعبارة 'نظافة يده' هو رفض *"ابن العلوية"* (كما تسميه الحاشية في لقاءاتها المغلقة) المتاجرة ولأهداف سياسية بدماء أهله "المنكوبين".

أجوبة على بعض الأسئلة ومع المزيد من التفاصيل:

ما جمعته في ملف "محاولتي الأخيرة" لـ 'ترتيب البيت السنّي'، هو عبارة عما كنت أرسله وأنشره من رسائل (للمشاركين في عملية ترتيب البيت، ولبعض المعنيين من خارج البيت، ولمجموعة من الأصدقاء المتابعين) حول مراحل وتطورات ما كنا نقوم به "من فوق الطاولة"، خاتماً الملف بمن وما دفعني لتجميد "مساهمتي" في مبادرتَي 'ترتيب البيت الداخلي' و'تحصين الساحة الجامعة'، وفي ما يلي توضيح لبعض ما جاء فيه.

ما ذكرته وبكل دَقّة في المقطعين الأول والثاني من الصفحة 2 من الملف، نعم... لا زال قائماً و"بقوة"؛ حتمية الوصول في نهاية 'عض الأصابع' و'رفع الأسقف' للتسوية، واستبعادي لأي مواجهة مفتوحة الآن، ليست مبنية فقط على مسألة الخوف من نهايتها 'إذا ما تدحرجت مقدماتها وبشكل لا يمكن السيطرة عليه'. إنما إصراري على رؤيتي هذه هو نابع مما "خَبِرْتُهُ" من "تربية أكاديمية" يمُرُّ فيها الفاعل من صناع القرار، خلاصتها مزيج من المديح و"الإعجاب" بأصول وتاريخ الكيانات الانفصالية في العالمين العربي والإسلامي؛ **لا يمكن للمهيمن في العالم الغربي أن يتخلّى اليوم عمّا هيّأ له "استراتيجيا" وعلى مدى عشرات السنين.**

طبعا هذه التفاصيل يعلمها 'الإيراني' جيداً، وإنَّ أحداً لا يستطيع لومه إن أراد استغلالها "حصراً" لمصلحته؛ ولمن لم يلتقط ما أردت قوله هنا: كان من الممكن توضيح الأمور أكثر، لولا "إحساسي" في الفترة الأخيرة بعواقب "عدم حساب خط الرجعة"، وتأكُّدي من حال وواقع من وما كنت أظن أن بإمكاني الاعتماد عليه.

نتيجة تواصلي مع أصدقائي في وعلى رأس بعض الأجهزة الأمنية بخصوص ما جرى في 9 حزيران 2021؛ وبالرغم من "عدم وصول ما طلبته إلى نهايته"، بسبب التداخلات الوظيفية وبعض "التدخلات السياسية"، وكنتيجة حتمية لسياسات "المحاصصة" (وما يحمله نقلُ عدوى الحسابات الطائفية إلى الأجهزة الأمنية)، وبسبب "فقر" القادر من هذه المؤسسات، وبعض الخلل الذي كنت ولا زلت أتمنى أن أساهم يوما في علاجه؛ ما وصلنا إليه كان كافياً ليُظهِرَ الهدف من وراء "الترويج" لعلاقة عدلة عودة بـ "نوح زعيتر" (الصفحة 6)، وليُؤَكِّدَ أنْ لا علاقة لمن كان يُراد "صرف الأنظار" بتوجيه أصابع الاتهام إليهم بالوقوف وراء هذه الحادثة، والتي كنت ومن البداية "مُتأكِّداً" من فاعلها من 'حرّاس المغارة'، والذي إذا ما استمر في عمله وفي "مركزه"، ***"السَّنَة الجايي... متل هالأيام... "سُنّة" (ومتل ما كان "وضعهم الوجودي" بهالبلد منذ تأسيسه)... ما في".***

كلامي في الصفحة 18 عن إصرار 'حرّاس المغارة' 'على امتلاك قرار من **سيكونون قريباً سبَبَ نهايته،** ومن بعد خسارته لأصدق الناس معه وعندما تُدرِك عامة أهل البيت حقيقة ما فعله تجار الهيكل فيهم وفيه'؛ الكلام فيها مُوَجَّهٌ لكلٍّ من الرئيسين الحريري وميقاتي بالدرجة الأولى، ولكل المشتاقين من بعد العشاق فينا (عُد إلى الصفحة 2 من هذه الرسالة)... *مرة ثانية للحريري وللميقاتي* (ولكل من "يَسِنُّ أسنانه" من بعدهما): الاعتماد "الحصري" على "اللحّيسة"، **والارتهان "بالمفرَّق" للمُحَرِّكات الخارجية،** ستكون فيه "خاتمة سُنَّتِكم"؛ للشيخ سعد: إن لم تبادر و"بنفسك" لإعادة تمكين العقلاء من أهلك، لن تقوم لتيار المستقبل بعد اليوم قائمة؛ وللميقاتي: كلامي في المقطع الثاني من الصفحة 21 مُوَجَّهٌ لك، يبدو أنك قد حَسَمتَ خياراتك... "بالتوفيق".

وفي النهاية، ولكل من طلب مني تحديد الوجهة التي يُقادُ سنّة لبنان إليها وبكلام واضح، مباشر، و*'بسيط'* : "طبعي" (وطبيعة عملي) يلزمني بـ (وتستلزم مني) الابتعاد عن "الأضواء" وعن صفوف "المسارح" الأمامية، ما أجد فيه نفسي مضطرّاً لإعادة شرح أسباب التزامي المُقتضَبَ (و"المُشفَّر" أحياناً) من الكلام مرّة بعد مرّة. وبالرغم من ذلك، فإن ما قمت به من دفاعٍ ("غير مُقنَّعٍ") عن إنسانية أهلي وأبناء جلدتي وشركاء "أصلي" (ومما كان يُفَسَّرُ مِن قِبَل السيّء المُهَيمِن اليوم على صناعة القرار في بلاد الغرب وعلى شاكلته السيئة) قد طالت تكلفته مؤخراً ما بقي لي من عائلتي والذي لم يستطع التخفيف من حمله علي من أصدقائي أحد.

مشكلة السنّة في لبنان أنهم بلا رأس... وبلا "ظهر" من قبل "رؤوسهم المتناطحة" على الصعيد الإقليمي؛ الأمل الوحيد، إن كان لا زال هناك أمل في إنقاذ ما ومن يمكن إنقاذه، أن يُصار إلى تشكيل "قيادة متكاملة"، وكبديل عما ليس متوفّراً حالياً (ولن يكون متوفّراً على المدى المنظور) من "قُدوةٍ" يُتَّفَق على "زعامتها"... مجموعةٌ ممن يَقْدِرُ على امتلاك قلوب الناس من أهله بوفائه، وعقول الفاعل من شركاء الساحة بحكمته، وبشكلٍ يَتَمثَّلُ فيه كلُّ من يريد من مُكونات البيت بخيرة من عنده، وباختيار "العقلاء" فيهم كلٌّ في منطقته.

التعاون المُخلَص والمُتجَرِّد عن كل الحسابات الخاصة في البحث عمن يصلح لهذا البديل هو الطريق؛ أذَكِّر بما ذكرته في رسالة 27 أغسطس (الصفحة 37) من أن 'من يستطيع فرض الوقائع على الأرض' سيكون قادراً على إلزام الآخرين بمراعاة حساباته... والبديل عن هذا البديل في ما سيشهده لبنان (والمنطقة) وعلى يد من ستفرزه "ساحة البيت الخلاقة" من عقاب وخراب لأهل البيت ولأهل البلد على المستوى الوطني.

أجوبة على أسئلة إضافية، ومع المزيد من التوضيح:

لقد فَهِمَ البعض مما سبق من كلامي شيئاً من *"الرهان مُجدَّداً على الحريري"*، مقابل *"اليأس من الميقاتي"*، وفي ما يتنافى مع ما "خلصت إليه" عن الأول، ويناقض ما كنت أبديه سابقاً من ثقة وتفاؤل تجاه الأخير. وفي حين أنني لم ألتقِ من قبل بالرئيس الحريري والذي رفض وكرَّرَ رفض طلب نائبه تحديد موعد لنلتقي، تجربتي مع الرئيس ميقاتي كانت "عميقة" و"خاصّة"، ومُمَيَّزة بما وجدته فيه ومما جعلني أعقد الآمال عليه.

"اليأس" من الحريري كان بفعل "عدم فشلِهِ" (يوماً بعد يومٍ) في إثبات قِلّة "حيلتِهِ" و"انعدام هامش حركته"، ومن الميقاتي لما يُضافُ إلى العاملَين السابقَين مِمّا "وُرِّطَ" وانغَمَسَ به مع 'المنظومة العالمية' وحتى أذُنَيه؛ نحن نعيش في زمن انحدَرَ وتَخَلَّى فيه مفهوم السياسة عن "نَبالَتِهِ" تسييرِ وتيسيرِ شؤونِ (والشؤون) العامة، ولكن مشكلتي كانت وستبقى مع مَن **تتوفَّر له المخارج**، ثم يُصِرُّ على خيار بيع أهله حرصاً على مصلحته.

كلامي عن 'الارتهان بالمفَرَّق للمُحَرِّكات الخارجية' لا يقتصرُ العيبُ فيه على "تذالة" الارتباطات الارتهانية، إنما قصدت به "التسابق" على من يُقَدِّم أكثَر وبسعرٍ أرخص، وتنبيهاً للسائر في طريق البحث عن البديل.

وفي ما يتعلق بـ "خط الاستنزاف الأحمر" الجديد والبديل عن 'الخط الأزرق' الذي يفصل 'دول الطوق' (والمحيطة بالكيان الإسرائيلي)، وكما تُبَيِّنُه الخارطة في نهاية ملف *'محاولتي الأخيرة لترتيب البيت السني'* (الصفحة 40)، وحسب "رأيي المؤلِم" **والذي يمكن أن أكون مخطئاً فيه**، أقولها و"بكل أسف"، وبالعاميّة: إن معرِفة و"إدراك" الإيراني (أو المُمسِك الآن بالقرار الإيراني) لقواعد اللعبة "القديمة" ليس بالحدث الجديد؛ *بِعُمري ما شِكَّئيت (ولو للحظة واحدة)* في ما تختزنه "الجمهورية الإسلامية" في إيران من شرفاء مُخلَصين، قد سبق وشبّهتهم (وفي مناسبات عديدة) بـ 'الربانيين' 'الأقرب إلى الملائكة منهم إلى الجنس البشري'... *ولكن اللي بإيدهُن الكلمة الأخيرة فيها شايفين مصلَحتُهُن* في التعامل مع *"العدو البعيد على العدو القريب"*، ومن لا يتناغم معهم في لبنان (من أتباعهم وحلفائهم) وفي ما بين البلدين، *إذا ما قِدروا يْسَكّتوه، "بيزيحوه"*.

ما جرى ويجري في تركيا وفي بعض الدول العربية، ليس ببعيدٍ عن مبدأ 'العدو البعيد والعدو القريب'؛ الظاهر من الحصار و"الإفقار" إما أن يكون "عِقاباً"، أو لتمويه عملية "إفراغ الساحة" أمام "الانغلاقيين".

توضيح أخير... وأكتر من هيك ما عاد فيني إحكي:

ما في بلد، ما في طائفة، ما في حزب، ما في جماعة وما في حتى عيلة كل أفرادها زعران أو صبة واحدة. ومن يُصِرّ على شيطنة خصومه (أو أي طرف من خارج حدود بيته) و"بالجملة" (يعني *"كلهن متل بعض"*)، فإمّا أن يكون جاهلاً لا يُشَرّفُكَ (وليس من مصلحتك) "تمثيلُهُ" لك (أو أن يتكلَّمَ باسمك)... *وهيدي مشكلة*؛ وإمّا أن يكونَ مُغرِضاً يُريدُ صرفَ أنظار أهل بيته بعيداً عن "عمالته"... *وهون بتكون مصيبتك أكبر وبكتير.*

وبالعربي المشبرح: مَن يُحَرِّض على الآخر ومِن دون تمييز بين الحكيم العاقل وبين الغلاة المُتشَدِّدين فيه، هدَفُهُ نزع حجة المُنفَتِحين من أهل بيته **وبالتنسيق أو التناغم مع مَن هم في ساحة الخصم على شاكلته**؛ *يعني لما بيجيك سنّي وبيقللك كل الشيعة متل بعض واللي بِيَبَيِّنْلَك أو بْبِظْهِرْلَك منهم مَوَدَّتُه فمن باب التقية*، بكلامه هذا يساعد غُلاة الشيعة في إخراس من ينتقد تطرُّفَهُم من أهل بيتهم وبحُجَّةِ *"نحنا واياك بنفس السلة"* !

مثالي هذا وكلامي لا يقتصر على السنة والشيعة وإن كانوا هم المقصودون في مشروع 'الاستنزاف الكبير'؛ *طبعاً عمبحكي عن كل الطوائف وعن كل الكيانات القائمة وعلى كل المستويات المحلية والإقليمية والدولية.* لقد تعوَّدت ومن خلال تجربتي مع اللبنانيين على ألّا أكون جازماً في ما أصل إليه من خلاصات وحقائق؛ ليس من باب النقص في ما أنطلق به من معطيات ووقائع، إنما تواضعاً أمام من ظننت أنه "يعرف أكثر".

السنة 2022 هي سنة "الحساب"... *"والله أعلم"* !... **لأهل السنة في لبنان: إن عُدتُم لما "عُوِّدْتُم" عليه، فالحساب هذه المرة سيكون عسيراً على مستوى "حضوركم"** (ووجودكم) وفي بلدٍ "سيَتَغَيَّرُ من دونكم لونُه"؛ ولمَن يَظُنُّ *"إنّو البلد بْبِمْشِي بَلاكُم"* ... ولِمَن تتناغم مصالحه الضيّقة مع ما يُخَطِّطُ له مَن "يعرِفُ نشأتَهُ"... إن لَم يتقدَّم العقلاء لإعادة حالة التوازن "من أجل الاتزان": *الْكِلّ* بصالحهم وطالحهم *ساعتْها رَحْ يِدْفَع الثّمَن.*

هذا ما سأتكلّمُ في تفاصيله في الجزء القادم (الجزء الرابع) من الرسالة، وبناءً على نتائج "إعادة تجربة 'تحصين الساحة الجامعة' وفي ما اقترحه مؤخراً الدكتور زكي جمعة من مبادرة 'خلية طوارئ الخطة ب'.

خلفية وأهداف ونتائج مبادرة خلية طوارئ الخطة ب

عندما طالبت بترتيب البيت الداخلي قبل ما سُمِّيَ بثورات الربيع العربي ومن بعد انفجار (و"تفجير") الشارع، كان هدفي ترك عملية الترتيب (أو "التنظيف") لأهل البيت كلٌّ في بيته وفي سبيل تحصين الساحة الجامعة، في مواجهة (أو استعداداً لـ) ما كنت استشعره وأراقب مقدماته من 'فاشيات جديدة' وعلى المستوى الدولي[9]. دعوتي الجديدة أو المُتجَدِّدة لترتيب البيت وعلى مستوى مكونات الساحة اللبنانية السياسية والطائفية خاصةً، كان "هَمّي" فيها جمع مَن بانسجام قراءتهم للحدث الدولي، وبتكامل "تعاملهم الاستثنائي" مع واقع حالهم، يمكن لهم الحؤول دون استغلال النزعات الفاشية على المستوى المحلي في جر البلد نحو الاقتتال الداخلي.

في 19 أبريل / نيسان 2021، ومن بعد تقييم مسارات ترتيب البيوت الداخلية مع صديقي الدكتور زكي[10]، ولما كنا نراه من *'انحراف عملية ترتيب البيت إلى ما يُحرَّف شعاره في تحصين البيت'* وفي مواجهة جاره، ومن "رفع للسقوف" *'في ظل واقع انعدام الثقة'* ، و"فاشيات انعزالية" *'في عملية ترتيب البيوت الداخلية'* [11]، قمت بإرسال 'دعوة للمساهمة في تشكيل خلية طوارئ الخطة ب' لكل قيادات الأحزاب الفاعلة في لبنان، شارحاً لهم خطورة *'انتقال انعدام الثقة إلى داخل البيت الواحد'* وفي ظل *'احتمالات الانزلاق نحو المواجهة'* ؛ التجاوب غير المشروط مع الدعوة ومن البداية اقتصر على الجماعة الإسلامية والحزب التقدمي الاشتراكي.

لقد اعتقدت أن ما ذكرته في رسائل الدعوة وفي اللقاءات التي تلتها كان كافياً ليُقنِع "المُستَهتِرَ" **أن "كفى"**. ففي حين وكما فشل صاحب الفكرة (زكي) ومُفَعِّلِ حراكها (مصطفى) في إقناع "حاشية الزعيم" كلٌّ في بيته، لم ترَ قيادة التيار الوطني الحر (رغم رسائلي المتكرِّرة للأستاذ باتريك خوري) "حاجةً للرَدِّ" (ولو بالاعتذار!)؛ انسحابي في النهاية كان بفعل نتائج "محاولاتي" إقناع أصدقائي في قيادة "الحزب الأقوى" بجدوى المبادرة، ورغم ثقتي بمن تواصلت معهم من قياداته الفكرية والدينية والميدانية... محاولاتي هذه باءت كلها بالفشل.

[9] وكما ذكرته في بداية كلامي عن 'خلفية وأهداف ونتائج مبادرة ترتيب البيت الداخلي' (الصفحة 3) وبالإضافة إليه، دعوتي "القديمة" لترتيب البيت كانت دعوة عامة لكل مكونات عالمنا العربي، استدراكاً لـ "استباق" محاولة تحصين ساحتنا الجامعة من قِبَل المُهَيمِن على النظام العالمي (وقد فَعَل).

[10] الدكتور زكي جمعة هو صديق عزيز من حكماء حركة أمل؛ خير مُمَثِّلٍ للرئيس بري "في الأوقات الحرجة"، ومِن خير مَن للحركة أن تتمثَّل به.

[11] أي تحول شعار 'ترتيب البيت تحصيناً للساحة الجامعة' إلى عملية "تحصين البيت" ضد الجار وفي مواجهة بيوت شركاء هذه الساحة الجامعة، وفي ما لم يعد صالحاً للتعامل معه عن طريق *"مَرّقلي لَمَرّقلَك"* من وسائل التواصل التقليدية (راجع الصفحة 5 من ملف 'خلية طوارئ الخطة ب').

إن ما أقنعني ودفعني وفي تجربة ثالثة لـ 'ترتيب البيت السني'، وعلى أثر لقاء طرابلس في 8 أيار 2021، يعود إلى ما صارت عواقبه واضحة في إذكاء شطحات الغلو والتطرّف، وفي إخراس لغة العقل والمنطق، من استكبار واستعلاء واستهتار واستقواء، وبفعل **فقدان اتزان مَن لم يعُد يرى أمامه ما يُعَقلِنُهُ مِن "توازن"**؛ لكل داءٍ دواء، ولمحاولات الإصلاح نهاية... نهج إقصاء الآخر (و"استئصاله") غالباً ما يرتد على أصحابه.

أعتذر ثانيةً عما سأقوله هنا وبالعامية، لا أبتغي به تعكير صفوة أي بيت، ولمن يريد أن يجرِّب من بعدي: *اللي خلّى "الأقوياء" ياخدو موقف سلبي من مبادرة 'خلية الطوارئ'* أولاً، ومن مبادرة 'ترتيب البيت السني'، وبالإضافة إلى 'الهواجس المقبولة' والمفهومة حسب رأي البعض، أو 'النوايا السيئة' بتقدير البعض الآخر، هو كثرةُ "السماسرةِ" في البيت السني، ووَفْرَةٌ في عنصر التاجر الفاجر *اللي مستعد يبيع أهلو كرما لمصلحتو*؛ *اللي خلّى الكبير والصغير بهالبلد "بستوطي" حيط السنة* هو انطباق مثل وقاعدة 'كما تكونوا' على أكثرهم، وكما ذكرت في الصفحة 2: 'بيروح العاشق وبيجي المشتاق' *وبُكْرا بْتِنْزِل المحبّة بْنُصّ الشارع ترقصلو*!

إنّ ما ألزمني ويفرض علي تجميد حراكي في محاولات 'الترتيب' و'التحصين'، واليوم في إصلاح الموقف، لا يقتصر على كثرة الحاشية وغلبة حراس المغارة، إنما بصدمة ما بدا في بيت من كنت أعقد الآمال عليه؛ وللمرة العاشرة: ما لمسته لمس اليد، و'تأنّيْتُ في جمع معطياته'، جعلني أراجع "الماضي" بجميع مفاصله، والشك يراودني في بعض "الحقائق"، وفي 'الروايات الرسمية' التقليدية و"المألوفة" للكثير من "المسلمات"! ولأسأل نفسي وكما سألتها من قبل مع من لم توقِفْني "تصنيفاته" عن التواصل مع من كانت تُمنَع محاورته، عن الحكمة في التزام أحكام اجتناب "المحظور"، و"المُنزَّلةِ" عليك من قبل من لم يترك لك مجالاً لتثِقَ به؟

لقد التقيت منذ شهر بمستشار رئيس حزب القوات اللبنانية الدكتور إيلي خوري والذي فاجأني بموضوعيّته؛ ما أكَّدَهُ لي من نية صادقة للانفتاح (البنّاء و"الإيجابي") على الآخر (المحلي و"الإقليمي") لم أكن أتوقّعُه! ما ذكرته في الصفحة 21 من ملف 'محاولتي الأخيرة لترتيب البيت السني' عن 'حراك البطرك الراعي'، أنما كان لما استبشرت به من كلامه عن *'ترتيب البيت الداخلي'* و*'سد النوافذ'* حصراً، وفي ما "يُبنى عليه"؛ **من وما يمكن اعتماده في إعادة التجربة موجودٌ وفي كل الأحزاب والطوائف... لمن يريد متابعة الطريق.**

ما أستطيعُ قوله مما لم أجد "ما يُشجّع" للغوص فيه:

ويُريدُ البعض مني توضيح ما و"مَن" عنيتُه وقصدتُهُ بكلامي عن 'الروايات الرسمية للكثير من المسلَّمات'، رغم معرفتهم لضوابط أخلاقياتي في "حفظ أسرار ما أدخلُه من بابه وبإذنٍ مُسبَقٍ من أهله من بيوت"، ولكونهم من "مُستَبعَدي" أهل البيت، ومنن تجمعهم صفات قبول "الآخر" والانفتاح على الآخرين، أقول: المَعروفِ والمُتناقلةِ روايتُهُ عن حدث تغييب و"تحييد" من لم يكُن بالإمكان تطويعُهُ هو ما بدأتُ أشكُّ فيه.

ولكن، وبما أن هدفي كان (ولا زال وسيبقى) الإصلاح ("ما استطعت") بعيداً عن المزايدات أو التشهير، رغم وصول الأمور إلى ما لا يمكن و*"لا يجوز"* السكوت عنه ومع تجاهل المستهترين لما صارحتهم به[12]، وبما أن رأيي وأملي بمن آمنتُ وراهنتُ على مِهَنِيَّتِهِم وحيادِيَّتِهِم (من "أُمناء أمن" البلد)[13] لم يكُن في مكانه: **"الاهتمام بالنفس" وبما يعنيك ويخُصُك يصبح أجدى، والأفضلَ لي ولكم الآن عدم الدخول في التفاصيل.**

ما يجري من تحريك وإعادة تحريك لمشروع[14] 'الاستنزاف الكبير' يبدو أن أحداً لن يكون قادراً على إعاقته، وكما ذكرته في عدة مراسلات سابقة عن مصير "صغار الحجم" و'مَن في الوسط' عندما "تتصارع الفيلة"؛ فبالرغم من قناعتي من شرط ترتيب البيت السني أولاً، لـ "ترتيب البيت المسيحي" اليوم ضرورته وأولويته... "لا زلنا ننتظر إذن غبطته" لدراسة جدوى إعادة تحريكه أو "السير مجدّداً" وفي ظل المعطيات الجديدة فيه.

---

[12] ما ختمت به "محاولاتي المتكرّرَة" في رسالة 15 يوليو/ تموز 2021 ('رسالة خاصة لأصدقائي في قيادة حزب الله ومن الجانب الإيراني')، *'ومن باب ما لا زلت أشعر به من رابط بيننا في الله مُمَيَّزٌ عن كل المصالح'*، وبعد ثلاثة أشهر من تهرُّب القائم من الحاشية من مجرّد مناقشة الأمر، متسائلاً إن كان من المعقول *'لله أن يكون أكثرَ حِرصاً على أيّ من أوليائه (ولو مهما بلغَ هذا الولي من مراتب السموّ والرفعة عنده)'*؛ أو من الممكن *'لله أن يُحَصّنَ أُفَقَهَ وأتقى الناس من أوليائه* [ممن أتى من بعد خاتم رُسُلِهِ] *ببطانةٍ "أخلصَ"* [أو محيطٍ أشرَفَ] *ممن قَدَّرَ ليكونوا من أصحاب محمد'* **!؟** مذكراً الفاعل العاقل ببعض الثوابت من معتقداتهم، وفي ما هو واضح في أدبيّاتهم: *ولمن ينتظر عودة الإمام المهدي: عندما يعود ('عجّل الله بفرجه')* ***فسيعود في 'دنيا قد ملئت جوراً وظلما'*** *... 'ينزل فيها بالناس من سلطانهم بلاءٌ شديدٌ' ...* ***'يقتُلُ فيه الجبابرةُ المسلمينَ، يطردونهم من ديارهم'... المهدي سيعود "ليقول للأعور أعور بعينه"*** *... و'لنصرة المظلوم ومن أُخرجوا من ديارهم' ...* ***و 'ليؤلف الله بين قلوبهم بعد عداوة الفتنة إخوانا'.***

[13] والمقصود هنا هم من تفاءلتُ بما سمعتُهُ وخبرتُهُ عن مناقبيّتِهم، وعن استقامتهم ونظافة كفهم، من قيادات المؤسسات العسكرية وأجهزتها الأمنية، وليتضِح لي بعد التجربة (أو "التجارب") عمق الخلل على صعيد "المحسوبيات" و"المحاصصة" في الهيكليات التنظيمية وفي "تركيبات طائفية"، وفي ما ينبغي أن يقلق كل عاقل على مستقبل أو استمرارية ركيزة من أهم ركائز الدولة، ومبرر أساسي من أهم مبررات 'احتكار وسائل العنف'، **وخاصةً عندما يشعر أي مكوّن من مكونات البلد، وفي ظل امتلاك شريكه لأسباب القوة، أن المؤتمَنَ على أمنه في بلده غير قادرٍ على أن يحميه.**

[14] ما كنت أريد تفصيل بعض معطياته وفي ما يتعلّق بتحركات الرئيس ماكرون "غير الاقتصادية" (وحول خلفية وأهداف جولته الخليجية الأخيرة)، كانت "وظيفته" حسم موقف "دول ما بعد الخط البرتقالي" (راجع الصفحة 40 من ملف 'محاولتي الأخيرة') وقبل صفقات السلاح التي أرادتها فرنسا وكتعويض على ثمن وقوفها في وجه الـ AUKUS المؤيّد لمن يشكل قلقاً لدول الخليج... *و"ما رح إزعل" لو تبين بعدين إنو كلامي هيدا ما كان دقيق.*

الخلاصة وما يمكن لمن سيتابع الطريق أن يقوم به

إن كان من الممكن لي المساهمة بتقديم "زبدة" تجاربي السابقة في إعادة محاولة ترتيب البيت (أي بيت)، فإعادة التجربة لن أبادر إليها بعد اليوم بنفسي... وفي أي حال: *"مسلسل" أبو ملحم خلص من 40 سنة*. التزام الواقعية يشمل التعاون مع مَن يبادر إلى "الإمساك بسقف بيته" وبغض النظر عما قيل ويقال عنه[15]، مع التزام قاعدة 'الزبالة دون الركب'[16] وفي بلدٍ تصل "حُكماً" وتلقائياً الزبالة إلى ركب أنظف الناس فيه.

وفي "حدَثٍ" دولي عالمي، ومن "لبنان أولاً"، الناس يُتعامَلُ معها وكـ 'حقول للتجارب' Guinea Pigs[17]؛ *لمن يريد متابعة الطريق:* ما يواجهكم من تهديدات وجودية لا يقتصر على تبعات إعادة الانتشار الديمغرافي، إنما في ما لا زال بيدكم تغيير حِدَّة وَقْعِهِ عليكم من "صراع من أجل البقاء" لا عذرَ ولا رحمة للمُغَفَّلين فيه.

إنها "معركة بقاء"، لمَن "يصلُح للبقاء" أن يتهيأ لها بعيداً عن حسابات ومستلزمات 'المعارك الانتخابية'؛ بالأمس كان ذئباً (أي واحداً)، يأكُلُ من الغنم القاصية... جَمْعُ القطيعِ اليوم مُفرَّقٌ، والذئابُ عند كل مفرق، ستقضي على القطيع *"غنمة غنمة"*، إن لم يتحرّك الصادق من "الرعاة"، وما نفع الندم عندما يفنى الغنم**!؟**

أصحاب المنظومة ليسوا آلهة، ومشروعهم لـ 'الاستنزاف الكبير' (و'إعادة الانتشار الديمغرافي') ليس بقدر؛ **إعادة التوازن** ليس للمواجهة، بل من أجل اتزان من بعودة اتزانه سيكون قادراً على معالجة "هواجسه" أكثر. *لمن يريد من غفلته أن يستفيق:* **"الاستراتيجي" يُرَدُّ عليه بالاستراتيجي**، وتحت شعارٍ خَطِرٍ لطالما رفضتُهُ، يعودُ ليفرِضَ اليوم مُجَدِّداً نفسَهُ Si Vis Pacem Para Bellum: إن أرَدْتُمُ السلام، **استعِدّوا للحرب.**

---

[15] أي من يسارع من أهل البيت إلى الامساك بسقفه، عندما يعني انهيار السقف سقوطه على جميع ساكنيه... من يبادر إلى هذا العمل الإنقاذي النبيل، تُقَدَّمُ "عملته" المميزة هذه على ماضيه وتاريخه، وليُبنى عليها لاحقاً وفي أي عمل إصلاحي جامع... وعلى عكس من عندما تخبره عن حال السقف، وبمجرد إحساسه بقرب انهياره تجده (أو "وجدته") يسارع في تهريب ماله (و"ما ليس له") خارج البيت وبانتظار "خلاصه" ممن سيحاسبه من أهله، وهذا النوع من البشر هو من ينبغي عليك اجتنابه والحذر منه (وعدم المراهنة عليه أو أن تتأمّل خيراً منه) وإن كان من المصلين الراكعين الساجدين.

[16] أي أن من لم تصل "الزبالة" إلى ركبته وفي بلد تكاد تصل فيه الزبالة إلى الركب، ففي ذلك دلالة على نزاهته *("ماشي مسكّر منخاره وقرفان")*! *وعلى عكس اللي ماشي وآخد راحته* (كحال الأكثرية وما يُضطَرُّ إليه بعض أصحاب المسؤولية)، *الزبالة واصلة لدنيه وعمبيطرطش اللي حواليه*.

[17] لقد نظرت إلى لبنان عندما بدأت بتجربة تطبيق فكرة 'الأمن الكونستراتيجي' بين مكوناته (في منتصف السنة 2019) على أنه صورة مصغَّرة عن المجتمع الدولي لما فيه من "وكلاء" Proxies عن معظم الاختلاف والتنوع العالمي، مع فارق سهولة التواصل مع مكونات المجتمع اللبناني؛ كذلك وعلى هذا الأساس أيضاً نظر وينظر حكماء 'المنظومة المالقراطية المتكاملة' إلى لبنان في محاولتهم دراسة ردة فعل الناس على انفجار الفقاعة، ولكن من دون الانتباه لما يتميز به الشعب اللبناني عن سائر شعوب العالم من تأقلم سريع مع الواقع وإن اغتصبت كرامته، *بيضل يقللك "فدا الزعيم"*.